مَدرَسَةُ الإمامِ الصّادِقِ عَلَيهِ السَّلامُ نَموذَجٌ راقٍ لِلجامِعَةِ الإسلامِيَّةِ المِثالِيَّة

Imam Al-Sadiq School as a Sublime Nonpareil for Perfect Islamic University

أ.م. سُمَيَّة حَسَنعَلَيان
جامعة أصفهان . كلية اللغات الأجنبية
قسم اللغة العربية وآدابها

Asst. Pof. Sumaiya Hasanulaiyan
Department of Arabic and Literature
College of Foreign Languages
Isfahan University

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

من البحوث المشاركة في

مؤتمر العميد العلمي العالمي الثالث

المنعقد تحت شعار

نلتقي في رحاب العميد لنرتقي

وبعنوان

النبي المختار صلى الله عليه وآله وسلم وآله الأطهار عليهم السلام
منبع العلوم الإنسانية ومدادها

للمدة من ١٧-١٨ أيلول ٢٠١٥م

٣-٤ ذي الحجة ١٤٣٦هـ

برعاية العتبة العباسية المقدسة

A research paper taken from

Al-Ameed Journal Third Global Academic Conference

Uunder the Auspices of General Secretariat

of Holy Al-Abbas Shrine

held as of 17 to 18 -09- 2015

3 - 4 Thelhujja 1436

Under the slogan

Under the Shade of Al-Ameed

We Do Meet to Augment

CHOSEN PROPHET AND HIS CHASTE

POSTERITY HUMAN SCIENCES FOUNT

AND TRIBUTARIES

ملخص البحث

كان الإمام الصادق عليه السلام في زمنه قطب الرحى الذي التف حوله الآلاف من الطلبة والعلماء بغض النظر عن أديانهم ولغاتهم وتوجهاتهم وكانت مدرسته أرقى مدرسة على مستوى العلوم والفكر إذ لها سمات خاصة تميزها من غيرها طوال العصور وبإمكانها أن تكون أنموذجا للجامعة الإسلامية المثالية التي يهدف كثير من العلماء إلى بنائها اليوم. وذلك أن هذه المدرسة سارت على النهج القويم الذي جاء به النبي الكريم صلى الله عليه وآله في توعية الناس وإرشادهم نحو السبل الصحيحة والعلم الذي كان يشع من أنوار الإمام الصادق عليه السلام في مدرسته يُنتفع به في المجالات الدنيوية والأخروية كافة ولعل الضرورة أملت على الإمام عليه السلام أن يطرح مشروعه العلمي التربوي.

يهدف البحث الحالي الى دراسة السمات والخصائص المتميزة لهذه المدرسة مستخدما المنهج الوصفي .

ومن أهم نتائج البحث أن هذه المدرسة امتازت باعتنائها بالتخصص العلمي، وفتح أبواب المناظرة والجدال على مصراعيها، والاهتمام بالجانب التربوي فضلا عن الجانب العلمي.

ABSTRACT

In his time Imam Al Sadiq was the cynosure thousands of disciples and scientists gravitate around regardless of their religion, languages and propensities. Whose school surged as the most elegant in the orbit of sciences and thought as it has distinguished features giving it prominence over the other throughout ages. It could be a nonpareil for the perfect Islamic university attracting many a scientist ,such as a school keeps pace with the traditions the beneficent prophet advocates in guiding people to the right paths and science emitting light from Imam Al-Sadiq school people make use of in the here and hereafter fields .For the necessity urges the imam to broach his educational and scientific project. The actual paper tackles the distinguished traits for such a school in terms of analytic-descriptive methodology.

... المقدمة ...

نظرا لأهمية القدوة في النظم التعليمة وضرورة استخدام القدوة فيها، فيجب على الجامعات الإسلامية اليوم التأسي بأنموذج عال. لم يغفل النص الديني عن موضوع القدوة وتحدثت آيات القرآن الكريم والروايات الواردة عن أهل البيت عنه وعن أهميته ودوره ومن جملة ذلك أن الله تعالى قال: ﴿أُولئِكَ الَّذينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِه﴾ [الأنعام ٦: ٩٠]؛ إذ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بالاقتداء بالأنبياء السابقين وحث الله سبحانه الأمة على الاقتداء بالنبي ﷺ، قال: ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثيراً﴾ [الأحزاب ٣٣: ٢١]؛ قد ورد في تفسير الميزان: «والمعنى من حكم رسالة الرسول وإيمانكم به أن تتأسوا به في قوله وفعله وأنتم ترون ما يقاسيه في جنب الله وحضوره في القتال وجهاده في الله حق جهاده» (**الطباطبايي، د.ت، ١٦: ٢٨٨**).

هذا من جهة ومن جهة أخرى فمن الخطأ أن نتصور أن التراث شيء مضى وانقضى وأصبح جزءا من التاريخ، بل لا بد أن نعده مظهرا لعبقرية الأمة الإسلامية ولا سيما إذا كان هذا التراث يتعلق بالأئمة الأطهار ﴿عليهم السلام﴾؛ وهذا هو الذي يبعث آمال الأمة ويلهم مشاعرهم. والانقطاع عنه يؤدي إلى هدم الأساس الذي تقوم عليه الحضارة الإسلامية وفي زماننا هذا إذا أردنا أن نستعيد أمجادنا وحضارتنا ما علينا إلا أن نتوجه إلى ما ترك هؤلاء الطيبون لنا بما يناسب حاجات مجتمعنا الإسلامي؛ عن أن عدم الاهتمام بهذا التراث أو ضعف الاهتمام به يؤدي إلى أزمة فكرية في تربيتنا المعاصرة تتمثل في تجاهلنا لقيمته وأهميته في بناء شخصية الأمة وإعطائها

الهوية الثقافية المميزة. إذن العودة الصحيحة والسليمة إلى الينبوع لا تكون بالعودة إلى مظاهر المجد والزهو في حضارتنا فقط، بل إلى أسباب عظمته فالتاريخ غني باستخلاص قوانين حركته (**الراوي، ١٩٨٤م، ٢٩**).

وصحيح أن هناك اليوم كثيرا من الجامعات المختلفة تُدرّس فيها الفروع المختلفة المتنوعة ولكنه مما يبدو ضروريا في هذه الأيام هو أسلمة الجامعة؛ لأن الجامعة إذا بنيت على أساس إسلامي ولوحظت فيها الأخلاق الإسلامية فستكون كل العلوم المختلفة في خدمة الإنسان ولن تخرج عن الإطار الأخلاقي الإسلامي. وعندما نتصفح صفحات التاريخ الإسلامي المشرقة نلاحظ أن مدرسة الإمام الصادق عليه السلام تستأهل أن تكون أنموذجا راقيا لجامعات اليوم؛ إذ كان يدرس أكثر من أربعة آلاف طالب في هذه المدرسة الكبيرة أو قل الجامعة الإسلامية.

ومن نماذج المدرسة الإسلامية طوال التاريخ، التي كان يرأسها إمام من أهل البيت عليهم السلام هي مدرسة الإمام الصادق عليه السلام ولا يخامرنا شك في أن أهل البيت عليهم السلام تربوا على المبادئ التي وضعها الرسول صلى الله عليه وآله وكانوا مكلفين بوصيته صلى الله عليه وآله للحفاظ على هذه المبادئ إذ هم الأجدر بتوفيق من الله تعالى (**النوبختي، ١٩٦٩م، ٢٢**)، ولم تبتعد حياة الأئمة عليهم السلام عن الإسلام كونه منهجا متكاملا للحياة لذلك لا نجد فاصلا بين الدين وتعاليمه من جهة وطريقة حياتهم من جهة أخرى بل كانت وثيقة الصلة بها (**الأديب، ١٩٨٨م، ٣٨**)، وكانوا في نشأتهم وأخلاقهم يحاكون سيرة الرسول، وهم توارثوا أخلاقه من بعده. من هذا المنطلق فدراسة الخصائص التي امتازت بها مدرسة الإمام الصادق عليه السلام تساعدنا على معرفة هذه المدرسة واقتداء الجامعات بها في أيامنا هذه. وانسياقا مع هذا يهدف هذا البحث دراسة هذه المدرسة والسمات الخاصة بها. والمنهج الذي توخاه البحث هو الوصفي - التحليلي.

نبذة عن عصر الإمام الصادق عليه السلام

عاش الإمام الصادق عليه السلام زمن التحولات الكبيرة فشهد زوال الحكم الأموي وقيام الحكم العباسي وشهد عصره تزلزل الحكم الأموي واشتداد شوكة العباسيين، وكان الطرفان في صراع مستمر حتى انتصر العباسيون عام ١٣٢ هجرية. والظروف السياسية أدت الى أن تمتاز تلك المدّة التي عاش فيها الإمام بالهدوء والحرية النسبية للإمام الصادق عليه السلام وشيعته، فكانت فرصة مناسبة جداً لتفعيل نشاطهم العلمي والثقافي. وذلك لأن الأمويين كانوا منشغلين بالمشاكل السياسية الكثيرة وكان العباسيون يدعون أنهم يدافعون عن أهل البيت وقاموا على الدولة الأموية بشعار «الرضا من آل محمد» ولم يضايقوا الإمام قبل أن يستلموا مقاليد الحكم. كان هذا المجتمع يزخر بأنواع مظاهر الفساد والانحراف عن البعد العقائدي والفكري وأصبحت هذه الأفكار خطرا على الإسلام وكيانه فقد بدأ الضلال يدب في النفوس ووجدت الأفكار الضالة طريقها إلى العقول وكان كل ذلك لتشويه الإسلام والنيل من كرامته، فهناك فرق مختلفة وبعض البؤر كانت تدعي الأصالة في الفكر الإسلامي كالخوارج والمرجئة والمعتزلة والزنادقة والغلاة وغيرها. واتسم هذا العصر الذي عاشه الإمام الصادق عليه السلام بظهور الحركات الفكرية ووفود الآراء الاعتقادية الغريبة إلى المجتمع الإسلامي وأهمها عنده هي حركة الغلاة الهدامة **(السبحاني، ٤٥)**. فمع القرن الثاني للهجرة نبتت الفرق الكلامية وسادت النظرات الفلسفية وتزاحمت الأديان على بعث الميت منها: كالمانوية والمزدكية والزرادشتية والصابئة والدهرية... **(الشهرستاني، ٢٠٠٨م، ٢: ٧٢)**. كان عصر الإمام الصادق عليه السلام العصر الذهبي الذي يستمد منه التاريخ أنواره. إنّ الإمام عليه السلام شرع بالرواية عن جدّه وآبائه عندما اندفع المسلمون إلى تدوين أحاديث النبي صلى الله عليه وآله بعد الغفلة التي استمرّت إلى عام ١٤٣ هـ حيث اختلط آنذاك الحديث الصحيح بالضعيف وتسرّبت

إلى السنّة العديد من الروايات الإسرائيلية التي وضعها أعداء الاِسلام من الصليبيين والمجوس، فضلاً عن المختلقات والمجعولات على يد علماء السلطة ومرتزقة البلاط الأموي ومن هنا فقد وجد الاِمام أنّ أمر السنّة النبويّة قد بدأ يأخذ اتّجاهات خطيرة وانحرافات واضحة، فعمد الى التصدّي لهذه الظاهرة الخطيرة، وتفنيد الآراء الدخيلة على الإسلام التي تسرّب الكثير منها نتيجة الاحتكاك الفكري والعقائدي بين المسلمين وغيرهم. وإنّ تلك المدة كوّنت تحدّياً خطيراً لوجود السنّة النبويّة، وخلطاً فاضحاً في كثير من المعتقدات، لذا كان الإمام عليه السلام كان بحقّ سفينة النجاة من هذا المعترك العسر (**السبحاني، ٧٩**).

ويمكن حصر الأسباب التي أوجبت حدوث الحركة العلمية العظيمة في عصر الإمام الصادق عليه السلام والنشاط الفكري والثقافي فيه في الأُمور الآتية:

١. حرية الفكر والعقيدة في الإسلام، ولم يكن العباسيون بلا تأثير في هذه الحرية الفكرية قطعاً، غير أنّ لهذه الحرية جذورا في تعاليم الإسلام بحيث لو كان العباسيون يريدون الوقوف أمامها لما كان بمقدورهم ذلك.

٢. كانت البيئة الإسلامية آنذاك بيئة دينية تماماً، وكانت الدوافع الدينية هي التي تحرك الناس، كما أنّ لتشجيع نبي الإسلام على طلب العلم، وحثّ القرآن على التعليم والتعلّم وتأكيده ذلك وعلى التفكير والتعقّل، الدور الأساسي في تنشيط وتفعيل هذه الحركة العلمية.

٣. كان للقوميات والأُمم التي دخلت الإسلام خلفية فكرية وعلمية، وكان لبعضها مثل العنصر الفارسي -الذي كان له خلفية حضارية أكثر ازدهاراً- والمصري والسوري حضارات عريقة في تلك المدة، فراحت هذه الأُمم بدافع فهم تعاليم الإسلام بشكل معمّق تبحث وتتفحص وتتبادل الآراء فيما بينها.

٤. التساهل الديني أو التعايش السلمي مع غير المسلمين خاصة التعايش مع أهل الكتاب فقد قبل المسلمون أهل الكتاب ولم يروا في ذلك مخالفة لعقيدتهم الدينية، وكان لأهل الكتاب في تلك المدة علماء وخبراء وكان المسلمون يواجهونهم مواجهة علمية، وكان هذا يؤدي إلى الجدل والبحث والمناظرة **(السبحاني، ١٣٥ نقلا عن المطهري، ١٤٢ـ ١٦٠)**.

ولم تتخذ الآراء الدينية اتجاها فلسفيا إلا عند الفاطميين ذلك أن انتشار العلم في ذلك الحين أطلق روح البحث والاستقصاء وأصبحت المناقشات الفلسفية عامة في كل مجتمع من المجتمعات والجدير بالذكر أن زعامة تلك الحركة الفكرية إنما وجدت في تلك المدرسة التي ازدهرت في المدينة والتي أسسها حفيد علي بن أبي طالب المسمى بالإمام جعفر الملقب بالصادق عليه السلام ويعتبر أول من أسس المدارس الفلسفية الرئيسة في الإسلام ولم يكن يحضر محاضراته أولئك الذين أسسوا فيما بعد المذاهب الفقهية فحسب بل كان يحضرها الفلاسفة وطلاب الفلسفة من الأنحاء القصية وكان الإمام الحسن البصري مؤسس المدرسة الفلسفية في مدينة البصرة وواصل بن عطاء مؤسس مذهب المعتزلة من تلاميذه الذين نهلوا من معين علمه الفياض. **(البعلبكي، ١٩٣)**.

مدرسة الإمام الصادق عليه السلام؛ سماتها لدورها القيادي

في هذا القسم من البحث سنشير إلى السمات التي تمتاز بها مدرسة الإمام الصادق عليه السلام، تلك السمات التي تجعلها تترأس جامعات اليوم وتقتدي بها هذه الجامعات، وهذه السمات هي:

١) فتح أبواب الحوار والمناظرة

الحوار أصله يدل على معنى الرجوع إما إلى الشيء أو عن الشيء والمحاورة: الرجوع والمراودة في الكلام أو مراجعة المنطق في المخاطبة (**ابن منظور، حور**)، قال الراغب: الحور التردد إما بالذات وإما بالفكر (**الراغب الأصفهاني، ٢٠٠١م، ١٤٢**). هو في اللغة «حاوره محاورة وحواراً: جاوبه وجادله. وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم وتجادلوا. الحوار: ولد الناقة ساعة تضعه» (**إبراهيم و آخرون، د.ت، ١: ٢٠٤**)، وقيل «المحور: الخشبة التي تدور فيها المحالة و هي البكرة العظيمة التي يستقى منها » (**ابن فارس، ١٩٧٩م، ٢: ١١٧**) «والأحور: كوكب، و هو المشتري » (**الجوهري، ١٩٨٤م، ٢: ٦٤٠**). والحوار اصطلاحا هو المناقشة بين طرفين أو أطراف ويقصد بها تصحيح كلام وإظهار حجة وإثبات حق، وبعض العلماء عرفه على أنه محادثة بين شخصين أو فريقين حول موضوع محدد لكل منهما وجهة نظر خاصة به هدفها الوصول إلى الحقيقة أو أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر بعيدا عن الخصومة أو التعصب (**السقار، ٨**). وقيل هو «نوع من الحديث بين شخصين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، و يغلب عليه الهدوء و البعد عن الخصومة و التعصب» (**دياس، ١٩٩٩م، ١١**).

أسلوب الحوار من أبرز الأساليب الحكيمة و البليغة التي استعملها القرآن الكريم، في إقامة الأدلة على وحدانية الله تعالى وعلى صدق الرسل الكرام، من أجل الوصول إلى الحقّ عن اقتناع عقلي، وارتياح نفسي، يجعل صاحبه يعيش حياته وهو ثابت على ما آمن به ثباتاً لا ينازعه ريب ولا يخالطه شكّ. ولعلّ من الأدلة على ذلك: أنّ مادة (القول) وما اشتق منها التي تدلّ على التحاور والمراجعة بين الناس في أمور معينة قد تكررت في القرآن الكريم أكثر من ألف وسبعمائة مرّة.

(**عبد الباقي، ١٩٨١م، ص٥٥٤**) الغرض من الحوار هو البحث عن الحق ليتضح، فالحق مطلوب والتعاون على النظر فيه مفيد ومؤثر هكذا عادة السلف الصالح في تحاورهم، فقد تدعو الحاجة إلى البحث المشترك للتوصل إلى الحق (**الغزالي، ٢٠٠٠م، ١: ٥٤**).

وعندما ندقق في حياة الإمام الصادق عليه السلام ومنهجه في إدارة المدرسة الكبيرة التي كان يرأسها نلاحظ أنه عليه السلام عزز القيم والمبادىء الإنسانية التي هي القاسم المشترك بين جميع الحضارات والثقافات، كان يستخدم الحوار الذي يسهم بدرجة كبيرة في التقارب بين الشعوب والأمم، وفي إزالة الحواجز المتراكمة من سوء الفهم المتبادل ومن الأفكار المسبقة القائمة على أساس غير صحيح؛ لأن ذاك العصر كان عصر التقاء كثير من الحضارات.

ومن جهة أخرى فلا شكّ في وجود تباين واضح بين الناس، في عقولهم ومدركاتهم و قابليتهم للاختلاف، إلا أن الله وضع على الحق معالم بارزة، وجعل على الصراط المستقيم منارات هادية. فالغاية من الحوار هي إقامة الحجة، ودفع الشبهات وكل فاسد من الأقوال والآراء، وهو تعاون من المتناظرين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها، ليكشف كلّ طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق (**ابن حميد،١٩٩٩م، ٢١٣**).

يستلزم هذا الموضوع التزام الموضوعية والبعد عن التعصّب، إذ يقود الحوار إلى طريق مستقيم لا عوج فيه، ويحول دون انسياق إلى الهوى. وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى الأخذ بهذه القاعدة، إذ علّم الرسول صلى الله عليه وآله والمسلمين أن يقولوا في حوارهم: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ٣٤: ٢٤] وفي هذا غاية التخلّي عن التعصب لأمر سابق، وفيه كمال إعلان الرغبة بنشدان الحقيقة أنّى

كانت. ناظر الإمام عليه السلام أصحاب الآراء من الجبرية والقدرية و... الذين تحدوا الكثير من العلماء بمجالسهم وهذا ما دفعه للتصدي لهم فكانت حواراته ومناقشاته التي عبرت بشكل حقيقي عن احترام الأفكار التي يحملها الآخر مهما كانت حيث تبدأ بالحوار البناء والإقناع البعيد عن التهكم والسخرية والانتقاص ولعل هذا ما يفسر لنا التغيير الذي تحدثه مناظراتهم تلك في أنها تحاور الفكر بالفكر (**ابن الصباغ، ٢: ٨٨٥**).

إذا راجعنا إلى المصادر التي ثبتت حوارات الإمام الصادق عليه السلام ومناظراته المختلفة لنكشف أن أطراف الحوار مع الإمام عليه السلام تتنوع إلى أنواع المعتقدات بدءاً من الإنكار لوجود الله وانتهاءا بًالسلوكيات المنحرفة وأصحاب الفهم الخاطئ لمسيرة الشريعة وهي جميعها تكشف لنا عمق النشاط الفكري والعقائدي الذي مارسه الإمام الصادق عليه السلام وإن الإمام عليه السلام لم يكن بمنأى عن الحياة الفكرية في عصره بل كان مطلعا إطلاعا تاما وشاملا على تلك الحركات ومتفاعلا تفاعلا إيجابيا مع هموم الأمة والتحديات التي كانت تواجهها.

و الحوار الطيب هو الذي يوضح كلام الله تعالى والسنة النبوية الشريفة ويعرف المسلمين وغيرهم الفرق بين الكلام الرباني المعجز و الكلام البشري ويعرف الناس وسطية الدين كذلك يسد باب المغالطات في الدين الإسلامي وخاصة ظاهرة الإفراط في الدين والتفريط فيه كذلك يعرف الآخر الأسس الإسلامية في النهي عن العنف وقتل النفس بغير نفس ونهيه عن الفساد في الأرض (**حمدي زقزوق، ٢٠٠٤م، ٥: ٢٠٥**). فكان الإمام عليه السلام يهتم بالحوار الطيب في مدرسته الإسلامية.

لم يكن عليه السلام يهتم بموضوع الحوار فقط، بل كان يطلب منهم أن يحدثوه بما جرى لهم من حوار مع المخالفين فقد سأل هشام أن يحدثه بما جرى له مع عمرو بن

عبيد، وإبداؤه رضاه عنهم فقد ورد في آخر الحديث: فضحك أبو عبدالله سلام الله عليه وقال: **يا هشام من علمك هذا؟** قال: قلت: شيء أخذته منك وألفته **(الطوسي، د.ت، ٢: ٥٠٠)**.

ولم يهتم عليه السلام بالحوار مع التيارات الملحدة فقط، بل كان يناظر ويحاور أصحاب المذاهب المختلفة فواجه تيار القياس والرأي والجبرية الذي تزعمه أبو حنيفة بشدة ونذكر منه على سبيل المثال لا الحصر هذه المحاورة إذ دخل أبو حنيفة فجرى حوار مطول بينهما، منه: قال الإمام: **يا أبا حنيفة إذا ورد عليك شيء ليس في كتاب الله ولم تأت به الآثار والسنة كيف تصنع؟** فقال: أصلحك الله أقيس وأعمل فيه برأيي. قال عليه السلام: **يا أبا حنيفة إن أول من قاس إبليس الملعون قاس على ربه تبارك وتعالى فقال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين.** فسكت أبو حنيفة. فقال عليه السلام: **يا أبا حنيفة أ يما أرجس البول أو الجنابة؟** فقال: البول. فقال عليه السلام: **الناس يغتسلون من الجنابة ولا يغتسلون من البول.** فسكت... إلى آخر الرواية **(المجلسي، ١٤٠٣ه، ٢: ٢٩٣ـ٢٩٦)**. وليراجع مَن يريد مزيدا مِن الاطلاع على مناظرات الإمام الصادق عليه السلام إلى كتاب الكافي للكليني وتهذيب الأحكام للطوسي، والاحتجاج للطبرسي.

٢) الاهتمام بالتربية بجانب الاهتمام بالعلم

التربية هي عملية يتم بها إكساب الأفراد مجموعة من القيم فالتربية بجوهرها عملية قيمية إذ إن مهمتها ليس التعليم فحسب وإنما تعني الإعداد والتنمية والتوجيه وغرس القيم وتكوين الاتجاهات **(التميمي، ٢٠٠٥م، ١٣)** والتربية في المنظور الإسلامي هي منظومة قيمية من حيث المضمون والجوهر إذ إن هدفها الشامل يصب في تنمية الفرد والمجتمع نحو الأفضل من طريق الاكتمال والنضج والتهذيب والتثقيف المستمر والمتواصل **(الخولي، ١٩٨٨م، ٢٣)**.

وإنسان اليوم يعيش في عالم متعدد الوسائط تهيمن فيه وسائل الإعلام على الفضاء الثقافي والاجتماعي العربي؛ عالم يتميز بتعدد في القنوات التلفزيونية فضلا عن استعمال الحاسوب وانتشار استعمال شبكة الإنترنت و... ولا بد من تهيؤ التلميذ أو الطالب ليتعامل مع هذه البيئة الجديدة. وعلى المدرسة والجامعة في العالم الإسلامي أن تجهز الطالب وتحضره بكفاءة واستقلالية ووعي نقدي وبمسؤولية في المجتمع تمثل فيه وسائل الإعلام وتكنولوجيتها مكانة مرموقة وتتمتع بسلطة قوية في تشكيل العالم الثقافي لهم (**بو خنوفة، ٢٠٠٥م، ٧٧**). ومما امتازت به مدرسة الإمام الصادق عليه السلام الاهتمام بالجانب التربوي بجانب البعد العلمي، إذ لم يكن هدف هذه المدرسة الجانب العلمي فقط، بل كان ينشد بناء الفرد الصالح ومن ثم المجتمع الصالح. وذلك واضح في توصيات الإمام الصادق عليه السلام إلى الطلبة وفي أقواله الكريمة.

قال سفيان الثوري: «لقيت الصادق بن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فقلت: يابن رسول الله أوصني، فقال عليه السلام: **يا سفيان أدبني والدي بثلاث ونهاني عن ثلاث فأما اللواتي أدبني بهن فإنه قال لي: يا بني من يصحب السوء لا يسلم ومن لا يملك لسانه يندم ومن يدخل مداخل السوء يتهم.** قلت: يابن رسول الله فما الثلاث اللواتي نهاك عنهن. قال عليه السلام: **نهاني أن أصاحب حاسد نعم وشامتا بمصيبة أو حامل نميمة**» (**الكليني، ١٣٨٨ه، ٢: ٥٤٦**). وأوصى الإمام الصادق عليه السلام المفضل بن عمر وأمره أن يبلغها شيعته هذه الوصية: ((**أوصيك بست خصال تبلغهن شيعتي أداء الأمانة إلى من ائتمنك وأن ترضى لأخيك ما ترضاه لنفسك واعلم أن للأمور أواخر فاحذر العواقب وأن للأمور بغتات فكن على حذر وإياك ومرتقي جبل سهل إذا كان المنحدر وعراً ولا تعدن أخاك وعداً ليس في يدك وفاؤه**)) (**المصدر نفسه، ٢: ٦٣٦**).

يعد القرآن أعظم منهج تربوي عرفه البشر، وقد طبقته أمةكانت تعاني الفرقة والضعف والجهل والتأخر فأصبحت أرقى الأمم أعلمها وأقواها **(عمر، ١٩٩٥م، ٧)**. كيف لا يكون ذلك وقد نزل القرآن لهداية الإنسان وتعليمه وتنظيم حياته فهو كتاب جاء أساسا للإنسان ويهدف إلى إصلاحه حيث اشتمل على وصف أحوال النفس الإنسانية وأسباب انحرافها ومرضها وطرق تربيتها وتهذيبها وعلاجها وكثير من الحقائق عن الإنسان وحياته النفسية **(نجاتي، ١٩٨٠م، ٣٩٣)**.

وذلك لأن منهج هذه المدرسة هو منهج القرآن الكريم الذي يحمل كل عناصر النمو والتجدد والكفيلة بأن تجعله صالحا للتطبيق في كل مجتمع وإن اختلفت مقوماته قليلا أو كثيرا وسيظل هذا المنهج على اختلاف الأزمان والأجيال الدواء لكل داء والحل لكل مشكلة والعصمة من كل ضلال وذلك بنص حديث إمام الهدى المصطفى ﷺ: **((إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي)) (يوسف، ٢٠٠٢م، ٢)**.

كيف لا يهتم الإمام عليه السلام بالجانب التربوي وهو إمام دين تميز بتأسيس مفهوم التزكية الذي يعتبر وظيفة من وظائف الأنبياء، قال عز وجل: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [آل عمران ٣: ١٦٤]؛ فيعتبر هذا المصطلح منظومة تربوية متكاملة في الفكر الإسلامي تدور حول الإنسان بتربية نفسه والارتقاء بها في مدارج السالكين. وذلك لأن التربية من أهم الوسائل التي تساعد في إصلاح المجتمع وتحقيق أهدافه في التقدم والتطور ولذلك آمن بها الكثير من المفكرين والمصلحين اليوم فجعلوها إحدى وسائلهم المهمة التي تساعدهم على تحقيق أهدافهم ونشر مبادئهم.

٣) حرية الحضور لكل فرد محب للعلم فيها

لا يهم في مدرسة الإمام الصادق عليه السلام أن يكون الطلبة من جنسيات مختلفة أو بألوان متعددة أو يتحدثوا بلغات متباينة؛ لأن هذه المدرسة تهتم بالتربية والتعليم وكل من يشتاق إلى تهذيب النفس أو تحصيل العلوم فله مكان ومنزلة في هذه المدرسة؛ فلذا نلاحظ أن في هذه المدرسة طلبة من أنحاء البلدان الإسلامية قريبها وبعيدها شاركوا فيها، وأخذوا العلوم المختلفة الدينية وغيرها، العقلية منها والنقلية. وبما كتبه الأستاذ أسد حيدر أنه قال: كان يؤمّ مدرسته طلاب العلم ورواة الحديث من الأقطار النائية، لرفع الرقابة وعدم الحذر فأرسلت الكوفة، والبصرة، وواسط، والحجاز إلى جعفر بن محمد أفلاذ أكبادها، ومن كلّ قبيلة من بني أسدّ، ومخارق، وطيء، وسليم، وغطفان، وغفار، والأَزد، وخزاعة، وخثعم، ومخزوم، وبني ضبة، ومن قريش، ولا سيّما بني الحارث بن عبد المطلب، وبني الحسن بن الحسن بن عليّ (**حيدر، ١: ٣٨**). ومرد هذا أن الأئمة هم صورة الإسلام المشرقة في صفحات تاريخ الحضارة الإسلامية فكان لهم دور بارز في إعطاء الحضارة الإسلامية سمة الإنسانية والعالمية وكانوا هم متبعي المنهج القرآني الذي يدعو المسلمين إلى نشر الدعوة الإسلامية وإقامة المحبة والدعوة بالحكمة والانفتاح والتفاعل مع الآخر بغض النظر عن العقيدة والجنس واللون واللغة ويبين أنه لا بد أن يكون أساس الدعوة الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن؛ قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل ١٦: ١٢٥]؛ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢: ٢٥٦].

ولا شك أن الناس «يتباينون في كل شيء يتباينون في ذكائهم وعلمهم كما يتباينون في أمزجتهم ومشاعرهم ثم إنهم يختلفون في أفكارهم وتصوراتهم كما يختلفون في ميولهم واتجاهاتهم. وكل هذا مما يفرض تغير المدخل الأكثر مناسبة إلى نفوسهم والأسلوب الأكثر ملاءمة إلى عقولهم» (**كيف ندعو إلى الإسلام، ٢٩**)؛ يقول سيد قطب: «المجتمع الإسلامي مجتمع عالمي بمعنى أنه مجتمع غير عنصري ولا قومي ولا قائم على الحدود الجغرافية فهو مجتمع مفتوح لجميع بني الإنسان دون النظر إلى جنس أو لون أو لغة بل دون نظر إلى دين أو عقيدة» (**نحو مجتمع إسلامي، ٩٢**). وكان الأئمة عليهم السلام يجسدون ما أمر به المنهج القرآني من أجل إرساء مبادئ التعايش السلمي فكانوا أنموذجا جمع بين النظرية والتطبيق، وانسياقا من هذا أرسوا التعايش السلمي بين المسلمين بعد أن كانوا يقرون أن الاختلاف بينهم أمر طبيعي. وحتى تلحظ أن الكثير من طلبة الإمام عليه السلام الذين لهم دور كبير في نشر الصيت العلمي للإمام عليه السلام هم من الموالي منهم: هشام بن الحكم مولى بني شيبان، علي بن يقطين، جابر بن حيان؛ إذ بدأ هؤلاء الموالي نشاطهم العلمي بمساعدة الإمام عليه السلام وإرشاداته القيمة.

٤) الاعتناء بالتخصص العلمي

مع أن هذه المدرسة ضمت في أحضانها كثيرا من الطلبة المشتاقين إلى العلوم المختلفة، فتنوع العلوم هو من خصائص مدرسة الإمام الصادق عليه السلام المهمة امتازت بالتخصص العلمي وكل طالب كان يدرس في فرع خاص يحبه ويبذل جهده لتعلم أصوله. وإليك بعض أسماء هؤلاء الطلبة الذين برزوا في العلوم المختلفة وأصبحوا علماء كبارا:

١. الفلسفة: هشام بن الحكم، هشام بن سالم.

٢. الفقه: زرارة بن أعين، ومحمد بن مسلم، وأبان بن تغلب، وأبو حنيفة، ومالك، وسفيان بن عيينة.

٣. الحكمة: المفضل بن عمر.

٤. التاريخ: أبان بن عثمان الأحمر البجلي.

٥. الكيمياء: جابر بن حيان الكوفي.

والاهتمام بهذا الجانب مهم جدا وخاصة بعد أن كثرت العلوم وازدادت فروعا مختلفة، وفي زمن الإمام الصادق عليه السلام نلاحظ أن المسلمين أقبلوا على التفاعل الحضاري بسرعة يمتصون من حضارات الأمم السابقة كالفرس واليونان، وما كان لدى مختلف الأمم التي التقت مع المسلمين لقاء مودة أو خصام. وقاموا كذلك بتحرير هذه العلوم و تنقيتها من الشوائب وتنميتها وصقلها وإصلاح فاسدها، مسترشدين بالمنهج العام الذي رسمه للمسلمين مصدرا التشريع الإسلامي العظيمان؛ القرآن الكريم والسنة النبوية، كل ذلك فيما لم يكن من خصائص الشريعة بيانه وتحديد أصوله و فروعه كأصول الاعتقاد وأحكام العبادات والمعاملات ونظم الحياة الفردية والاجتماعية (**الميداني، ١٢٥**)، فلم يكن المسلمون مجرد نقلة، وإنّما حلّلوا وأضافوا وابتكروا لأنهم كانوا ينظرون بعين إلى الثقافة اليونانية أو الفارسية، وبالعين الأخرى إلى التعاليم الإسلامية.

لم تقتصر مدرسة الإمام الصادق عليه السلام على الطلبة الموالين فقط بل كانت مفتوحة لجميع طلاب العلم والمعرفة من الجنسيات واللغات والألوان المختلفة؛ لأن الإمام عليه السلام كان إمام الأمة بأسرها. و لم تقتصر هذه المدرسة على علوم محددة بل شملت العلوم المختلفة أو قل جميعها ومنها: علم الفقه والحديث والتفسير والكلام والعلوم الطبية والفلكية والطبيعية و...

كانت دار الإمام الصادق عليه السلام كجامعة كبيرة تموج بالحكماء وأهل العلم يجيب على أسئلتهم ويحل مشاكلهم دون التفات إلى نحلهم ومذابهم أو فرقهم ومقاصدهم يلقي على طلابه مختلف العلوم والمعارف وكان ينهل من فيض علمه طلبة العلم من كل الأقاليم فانتشر صيته في جميع البلدان وروى عنه الكثير منهم: يحيى بن سعيد، وابن جريج، ومالك، وأبو حنيفة، وأبان بن تغلب، وسفيان الثوري سفيان بن عيينة و... (**أبو نعيم الأصبهاني، ١٩٣٣، ٣: ١٩٥**). وكان كلّ واحد من هؤلاء الطلاب شخصية علمية كبيرة متألّقة، وقد قدّموا خدمات كبيرة، وكان لبعض منهم مؤلفات علمية وتلامذة كثيرون، فمثلاً كان لهشام بن الحكم واحد وثلاثون كتاباً (**الفتال النيسابوري، ١٣٧٥هـ، ٢٢٩**)، وألّف جابر بن حيان أكثر من مائتي كتاب (**ابن النديم، ١٩٧٨م، ٥١٢**).

وإذا دققنا حياة الإمام الصادق عليه السلام العلمية لاحظنا أن للإمام عليه السلام دورا كبيرا في العلوم العقلية كالطب والصيدلة وعلم الكيمياء وعلم الفيزياء وعلم الهيئة والنجوم وغيرها. فمثلا لم يكتشف حقيقة علم الإمام الصادق عليه السلام الغزير وأقواله الكريمة وكلماته الحكيمة الطبية في الطب أطباء عصره كما اكتشفت بعد عدة قرون؛ وكان خوض الأئمة عليهم السلام في المسائل الطبية كخوضهم في سائر العلوم؛ وكأنه يمثل نوعا من الكرامة والإعجاز. فصل الإمام الصادق عليه السلام الحديث عن الهيكل العظمي والأعصاب والجوارح في جسم الإنسان وشرحها شرحا دقيقا مفصلا.

روى سالم الضرير: «إن نصرانيا سأل الإمام جعفر الصادق عليه السلام تفصيل الجسم فذكر الإمام عليه السلام: **إن الله تعالى خلق الإنسان من اثني عشرا وصلا وعلى مائتي وستة وأربعين عظما وعلى ثلاث مائة وستين عرقا فالعروق هي التي تسقي الجسد كله والعظام تمسكها والشحم يمسك العظم والعصب يمسك اللحم وجعل**

في يديه اثنين وثمانين عظما في كل يد واحد وأربعون عظما منها في كفّه خمسة وثلاثون عظما وفي ساعده اثنان وفي عضده واحد وفي كتفه ثلاثة وفي الأخرى كذلك وفي رجله ثلاثة وأربعون عظما منها في قدمه خمسة وثلاثون عظما وفي ساقه اثنان وفي ركبته ثلاثة وفي فخذه واحد وفي وركه اثنان وكذلك في الأخرى وفي صلبه ثماني عشرة فقرة وفي كل واحدة من جنبيه تسعة أضلاع وفي عنقه ثمانية وفي رأسه ستة وثلاثون عظما وفي فيه ثمانية وعشرون» (النوري، ١٩٨٧م، ١٦: ٤٤٥).

إن هذا التفصيل للجسم البشري والهيكل العظمي بهذه الدقة لا يأتي إلا من أتيحت له فرصة دراسة الطب والتشريح وفضلا أن الإمام أفاد غيره بهذا العلم وتخرج من مدرسته هذه عدد من أصحابه **(ابن شهر آشوب، ١٩٥٦م، ٣: ٣٧٩).** أو أشار عليه السلام إلى كثير من الأمراض ووصف لها الدواء منها: السعال والسل والزكام ووجع المثانة والحصاة وأوجاع المفاصل وسلس البول والإسهال والجدري وعرق النسا والجروح والقروح والرمد والبرص والجذام والسموم وأوجاع الظهر والبهق وعلل الفم والأسنان والحمى والصداع و.. **(القراغولي، ١٩٦٣م، ١٤٨).** وهنا سنشير إلى دور الإمام الصادق عليه السلام الريادي في أحد العلوم المهمة، ألا وهو علم الكيمياء.

وإن نجد رأيا آخر قائلا بأنه من المشكوك أن «جعفر الصادق لجأ شخصيا إلى النظر في المعارف الكيميائية (السحرية) والمعارف الفلكية والتنبؤية التي نسبت إليه ولكن لا شيء يناقض أنه شجع هذه المعارف عند تلاميذه مضيفا عليها دلالات إسلامية وأنه رسم خط تطورها الذي قاد مباشرة إلى الباطنية الشيعية بمختلف أشكالها وبهذا المعنى يمكن اعتبار الإمام السادس للشيعة الإثنى عشرية أب التراث العلمي العربي» **(فهد، د.ت، ٨٥).**

وردّ أحمد عبد الرزاق أحمد على مَن نفى أن يكون للإمام الصادق عليه السلام دور في علم الكيمياء، فقال: «حاول بعض المحدثين نفي صلته بعلم الكيمياء على أساس أنه قصد من اشتغاله بها فيه تطهير الروح فقط، وفاتهم أيضا أن لفظة الكيمياء كانت تطلق قديما على فرعين مختلفين بعض الشيء من فروع المعرفة يختص الأول بالتفسير المجازي والصوفي للتغيرات الكيميائية يؤدي لتطور الإنسان الروحي الذي يدخل ضمن تعاليم علم الكلام في حين استهدف الفرع الثاني من الكيمياء السعي إلى معرفة تكوين المادة حيث كانوا يشتغلون به ويؤمنون بإمكان تحويل المعادن الخسيسة أو الناقصة إلى ذهب وفضة تلك النظرية التي باءت بالفشل لأنها لا تستند الى أي أساس علمي ومع ذلك أخذ بها أغلب علماء المسلمين» (**١٩٩١م، ٢٨٢**).

ولكن نسبة الريادة إلى الإمام عليه السلام تعود إلى موضوعين: الأول: ما أكدته المصادر، والثاني: أثر الإمام في عدد من العلماء. أما الأول فذكر ابن النديم أن للإمام عليه السلام كتاب الهليلجة (وهو ما يتداوى به) (**المجلسي، ١٤٠٣ه، ٥٩: ٢٣٧**)، وقال ابن خلكان: «له كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفأل وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرطوسي قد ألف كتابا يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة» (**ابن خلكان، ١: ٣٣٧**). و ذكر الصفدي هذا أيضا (**٢٠٠٠م، ١١: ٢٧**).

وورد في كتاب البيان لجابر بن حيان من منشورات هوليارد: أنه لما كان البيان أجل ما يحتاج إلى تقديمه في علوم مولانا عليه السلام -أي جعفر- وكان طريقه أحد الطرق التي يجب أن يدرج المتعلم عليها ويتغذى بها وجب أن نذكره في هذا الكتاب ليعرفه الراغب في هذه العلوم الشريفة بحقه وصدقه فيعظم انتفاعه به» (**الهاشمي، ١٩٨٦م، ١١٢**). والإمام عليه السلام على حد قول جابر كان يطلب من جابر أن يسهل

الموضوعات؛ وقد ورد في كتاب الرحمة لجابر بن حيان إذ قال: «.. قال لي سيدي: **يا جابر!** فقلت: لبيك يا سيدي، فقال: **هذه الكتب التي صنفتها جميعها وذكرت فيها الصنعة وفصلتها فصولا وذكرت فيها من المذاهب وآراء الناس وذكرت الأبواب وخصصت كل كتاب... وبعيد أن يخلص منها شيء إلا الواصل والواصل غير محتاج إلى كتبك ثم وضعت كتبا كثيرة في المعادن والعقاقير فتحير الطلاب وضيعوا الأموال وكل ذلك من قبلك.. والآن يا جابر استغفر الله وأرشدهم إلى عمل قريب سهل تكفر به ما تقدم لك وأوضح**» (**المصدر نفسه، ١١١**).

ومما لا يفوتنا ذكره أن جابر في كثير من كتبه أقر بتعلمه من الإمام الصادق عليه السلام فإليك بعض النماذج من هذه الإقرارات: قال في كتابه الإكسير الأعظم: «لقد تحملت من هذا ألما عظيما بذكري له إلى أن منّ الله تعالى علي بجعفر بن محمد صلوات الله عليه، فلم يزل يسهل علي ذلك ويكشف لي الأمر». (**ابن حيان، د.ت، ٤٠**) وقال أيضا: «وحق سيدي لو لا أن هذه الكتب باسم سيدي لما وصلت إلى حرف من ذلك آخر الأبد لا أنت ولا غيرك إلا في كل برهه عظيمة من الزمن» (**الهاشمي، ١٩٨٦م، ١١٦**). وكذلك ذكر جابر في كتابه الميزان: «وهذا في الميزان عجيب أن لا يدخل أحد العلوم عليها لا التدبير ولا غيره وهذا الذي نقول: إنه أول عظيم النفع في خواص القدم والتوحيد لله تعالى علوا كبيرا ونقض عظيم على الثنوية كذا أخبرني سيدي وأمرني أن أقول وأصنف» (**المصدر نفسه، ١١٧**).

٥) حرية الرأي والتعبير

تمتاز مدرسة الإمام الصادق عليه السلام بحرية الرأي والتعبير التي دعا إليها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وترد هذه الحرية ضمن سياق حرية التعبير عن الأفكار والآراء من طريق الكتابة أو الكلام وفقا لقوانين تحافظ على سلامة الدين الإسلامي الذي تميز

بأفقه الواسع في قبول الآخر وخطابه الراقي مع الفكر الإنساني الذي عُد الموجه الحقيقي لما يقوم به الإنسان من أعمال وهذا ما يبين لنا إصرار القرآن الكريم على استخدام العقل والفكر والتدبر. كان الإمام عليه السلام يشجع المسلمين على الاستشارة والتعبير عن آرائهم في جميع المسائل لتتآلف قلوبهم ويستفيدوا من خبرات الآخرين في شؤون الحياة. كان الإمام الصادق عليه السلام رائد مدرسة فكرية متميزة تجسدت في تكوينه الروحي والفكري كل تجليات الخالق المتعالي. وأعمق أثر لمعنى الحرية وحرية التعبير منها في مدرسة الإمام الصادق عليه السلام يتبين بتأثير الإمام عليه السلام في الناس بأخلاقه وأفكاره وتمكنه من جذب الكثير من الأتباع الموالين له. ولعل أبرز صور حرية التعبير والرأي قد تجسدت في طريقة تعامل الإمام عليه السلام مع الناس وخاصة الذين كانوا يسيئون الى الإمام عليه السلام حيث كان يقابلهم بالإحسان ومن نماذج تعامل الإمام عليه السلام مع من أساء إليه هاتان الروايتان: قال أبو جعفر الخثعمي: «أعطاني الصادق عليه السلام صرّة فقال لي: **ادفعها إلى رجل من بني هاشم ولا تعلمه أني أعطيتك شيئاً**، قال: فأتيته، قال: جزاه الله خيراً ما يزال كل حين يبعث بها فنعيش بها إلى قابل، ولكني لا يصلني جعفر بدرهم في كثرة ماله» (المجلسي، ١٤٠٣ه، ٤٧: ١٢). وعن أبي جعفر الفزاري قال: دعا أبو عبد الله الصادق عليه السلام مولى له يقال له: مصادف، فأعطاه ألف دينار وقال له: «تجهز حتى تخرج إلى مصر، فإن عيالي قد كثروا»، قال: فتجهز بمتاع وخرج مع التجار إلى مصر، فلما دنوا من مصر استقبلتهم قافلة خارجة من مصر، فِسألوهم عن المتاع الذي معهم ما حاله في المدينة، وكان متاع العامة، فأخبروهم أنه ليس بمصر منه شيء، فتحالفوا وتعاقدوا على أن لا ينقصوا متاعهم من ربح دينار ديناراً، فلما قبضوا أموالهم انصرفوا إلى المدينة، فدخل مصادف على أبي عبد الله عليه السلام ومعه كيسان في كل واحد ألف دينار، فقال: جعلت فداك هذا رأس المال وهذا الآخر ربح، فقال عليه السلام: ((**إن هذا الربح كثير، ولكن ما صنعتم في**

المتاع؟)) فحدّثه كيف صنعوا وكيف تحالفوا، فقال عليه السلام: **((سبحان الله تحلفون على قوم مسلمين ألاّ تبيعوهم إلاّ بربح الدينار ديناراً؟!))** ثم أخذ الكيسين، فقال: **((هذا رأس مالي ولا حاجة لنا في هذا الربح))**، ثم قال: **((يا مصادف مجالدة السيوف أهون من طلب الحلال)) (الكليني، ١٣٨٨ه، ٥: ١٦٦).**

وبجانب حرية الفكر والرأي في مدرسة الإمام الصادق عليه السلام نلاحظ أن هناك حرية الاجتماع والتداول؛ إذ اعترف الإسلام بهذا الحق للمسلمين جميعا إذ كان من عادة المسلمين أن يجتمعوا في المسجد لأداء الصلاة والتداول في أمورهم العامة وهذه كانت مكفولة في الاسلام بشرط عدم استخدامها من أجل معارضة وتحدي السلطة **(الملاح، ٢٠٠٢م، ٢٤٥).** والإمام عليه السلام كان يعقد المجالس الفكرية والعلمية في المسجد أو في بيته يعلمهم ما يمكنهم من مواجهة التحديات الفكرية والعقائدية بأسلوب الحجة والإقناع. و كان الإمام عليه السلام يحضر المجالس العامة التي يحضرها الناس بمختلف مستوياتهم فكان يشجع أصحابه على المناظرات أيضا.

النتيجة

حصل من التطواف الذي قمنا به في مدرسة الإمام الصادق عليه السلام التي تخرّج منها العديد من العلماء الأفذاذ والفضلاء لاستخراج نماذج مثالية لتكون قدوة للجامعات الإسلامية في يومنا هذا، حصل لنا عدة نتائج منها:

١. يجب الاهتمام بالتربية بجانب البعد التعليمي؛ لأن التربية هي أساس بناء مجتمع رصين، ومن طريقها تتكون شخصية الأفراد وتجعلهم ينعمون بحياة سعيدةخالية من كل الاضطرابات النفسية والجسمية.

٢. ومن جراء التربية التي اهتم بها الإمام الصادق عليه السلام فُككت القيود ليتجه العقل نحو الإبداع والحضارة الحديثة وهو بإزالة العوائق الاجتماعية والتاريخية التي تكبل هذا العقل، ولا بد من تحقق توازن بين مختلف عناصر الثقافة.

٣. أعطى الإمام الصادق عليه السلام في مدرسته المتميزة نماذج كثيرة للفكر الحر الواعي ليسير أصحابه على خطاه، ومن أهم النماذج هذا الموضوع هو كيفية تعامله مع من أساء إليه.

٤. إن الإمام الصادق عليه السلام قد مد إلينا حبلا على مدى القرون المديدة وعلينا أن نمت إليه بصلة لنفيد منه في حاضرنا ونحيا بعلمه حياة طيبة.

٥. كانت أخلاق الإمام الصادق عليه السلام وكيفية تعامله مع الطلبة توجيها لسلوكهم نحو هدف معين وهو الحؤول دون وقوعهم في الضلال والانحراف العقائدي.

التوصيات والمقترحات

في ضوء المباحث وما تم من تحديد النتائج فيمكن وضع التوصيات والمقترحات الآتية:

١. الاهتمام بوضع خطط مختلفة لتنمية روح التعاون والتفاعل وتطورها في الجامعات وبين الجامعات المختلفة أو وضع أنظمة حوافز مادية ومعنوية لرفع الروح المعنوية لدى الطلبة والكوادر في الجامعات؛ لاستثمار الطاقات حسب الخطط المدروسة والعقلانية لسلوك أخلاقي.

٢. دراسة الخطط والبرامج بدقة بحيث لا تؤدي إلى كون التعليم عشوائيا وارتجاليا للحيلولة دون هدر الطاقات البشرية.

٣. الافادة من المناهج التربوية التي ذكرها القرآن الكريم وطبقها الأئمة الطاهرون عليهم السلام والإمام الصادق عليه السلام في مدرسته المتميزة بشكل مستدام والتأكيد على استمراريته بالملاءمة بين القيم والأخلاق وباستيعاب توجهات الأجيال.

٤. التعريف بالشخصيات الإسلامية الشهيرة وخاصة الإمام الصادق عليه السلام بوصفه رئيسا للمدرسة الصادقية، إذ إن للتعليم عن طريق التقليد أهمية كبيرة ويبدو أن السلوك يتدعم أو يتغير تبعا لنمط التعزيز المستخدم، فضلا عن أن العلم الحديث اهتم بنظرية القدوة؛ إذ أعطاها اهتماما بالغا ودورا كبيرا في عملية التربية والنمو عند الإنسان فكانت نظريات العلماء المستشرقين وغيرهم في هذا المجال وقد سموا هذه النظرية بنظرية التعليم الاجتماعي.

٥. تشجيع البحوث والدراسات النظرية والعملية المتعلقة بمدرسة الإمام الصادق عليه السلام وتسليط الضوء على دورها في تحقيق النشاط العلمي والفكري والثقافي وكيفية تحقيق ذلك بغية الخروج بنتائج وتوصيات علمية وعملية يمكن تطبيقها وتنفيذها مستقبلا.

٦. فكر الإمام الصادق عليه السلام التربوي غني وغزير بالعلم والمعرفة ولا شك أن المتمعن والدارس لهذا الفكر يستخلص العبر والدروس لتنير الطريق لحل المشكلات الحاضرة في ضوء فهم الماضي.

٧. دراسة كل خصيصة من خصائص هذه المدرسة فضلا عن الشخصيات التي درست فيها وظهرت عبقريتهم لإيجاد علاقة إيجابية بناءة بين التراث والمستقبل؛ إذ إن الرؤية الواعية للتراث تزيد المجتمع وضوحا بشأن المستقبل.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. إبراهيم مصطفى (د.ت). المعجم الوسيط. بيروت. دار إحياء التراث.

٢. ابن الصباغ، علي بن محمد١٤٢٢هـ. الفصول المهمة في معرفة الأئمة. تحقيق سامي الغريري. د.م: دار الحديث للطباعة والنشر.

٣. ابن النديم، محمد بن إسحاق ١٩٧٨م. الفهرست. بروت: دار المعرفة.

٤. ابن حميد. صالح بن عبد الله (١٩٩٩م). معالم في منهج الدعوة. جدّة: دار الأندلس الخضراء.

٥. ابن حيان، جابر. (د.ت). تدبير الإكسير الأعظم. دمشق: د. ن.

٦. ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد ١٩٩٤م وفيات الأعيان. تحقيق: إحسان عباس. بيروت:دار الفكر.

٧. ابن شهر آشوب، محمد بن علي ١٩٥٦م). مناقب آل أبي طالب عليهم السلام. تحقيق لجنة أساتذة النجف الأشرف. النجف: المطبعة الحيدرية.

٨. ابن فارس. أبوالحسين أحمد بن زكريا. ١٩٧٩م، معجم مقاييس اللغة. بيروت: دار الفكر.

٩. ابن منظور، أبو الفضل جلال الدين محمد بن مكرم. (د.ت). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

١٠. أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله. (١٩٣٣م). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. القاهرة: مطبعة السعادة.

١١. أحمد عبد الرزاق، أحمد. (١٩٩١م). الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى. القاهرة: دار الفكر العربي.

١٢. الأديب، عادل. (١٩٨٨م). دور أئمة أهل البيت عليهم السلام في الحياة السياسية. بيروت: دار التعارف.

١٣. التميمي، عواد جاسم ٢٠٠٥م. توظيف مصفوفة القيم في المنهج الدراسي. بغداد: الشركة العامة لإنتاج المستلزمات التربوية.

١٤. الجوهري. إسماعيل بن حماد. (١٩٨٤م). الصحاح «تاج اللغة و صحاح العربية». ط٣. بيروت: دار العلم للملايين.

١٥. الخولي، سناء ١٩٨٨م. التغير الاجتماعي والتحديث. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

١٦. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن أحمد (٢٠٠١م). المفردات في غريب القرآن. بيروت: دار المعرفة.

١٧. الراوي، عبد الستار عز الدين. (١٩٨٤م). فلسفة العقل. بغداد: دار الحرية للطباعة.

١٨. السقار، منقذ بن محمود. الحوار مع أتباع الأديان مشروعيته وآدابه. د.م: د. ن.

١٩. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ٢٠٠٨م الملل والنحل. تح: محمد عبدالقادر الفاضلي. صيدا: المكتبة العصرية.
٢٠. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (٢٠٠٠م) الوافي بالوفيات. تحقيق أحمد الإرناؤوط و تركي مصطفى. بيروت: دار إحياء التراث.
٢١. الطباطبائي، محمد حسين (د. ت) الميزان في تفسير القرآن. قم: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.
٢٢. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن. (د.ت). اختيار معرفة الرجال. تحقيق: السيد مهدي الرجالي. قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
٢٣. النيسابوري، محمد بن الحسن ١٣٧٥هـ روضة الواعظين. قم: مطبعة الأمير.
٢٤. القراغولي، عارف ١٩٦٣م. الوراثة عند الإمام الصادق عليه السلام. مجلة الدراسات الإسلامية. النجف.
٢٥. الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (١٣٨٨هـ) الكافي. تحقيق علي أكبر الغفاري. طهران: مطبعة الحيدري.
٢٦. الملاح، هاشم يحيى (٢٠٠٢م) حكومة الرسول صلى الله عليه وآله. بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي.
٢٧. النوبختي، الحسن بن موسى (١٩٦٩م). فرق الشيعة. قم: مكتبة الفقيه.
٢٨. النوري، حسين الطبرسي (١٩٨٧م). مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل. بيروت مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.
٢٩. الهاشمي، محمد يحيى (١٩٨٦م). الإمام الصادق عليه السلام ملهم الكيمياء. بيروت:دار الأضواء.
٣٠. بوخنوفة، عبد الوهاب (٢٠٠٥م). الطفل العربي والتربية على التعامل مع وسائل السمعية – البصرية. تونس: مجلة الإذاعات العربية. العدد٢.
٣١. حمدي زقزوق، محمود (٢٠٠٤م). الإسلام وقضايا الحوار. ترجمة مصطفى ماهر. د.م: طبعة الشروق الدولية.
٣٢. دياس. محمد راشد (١٩٩٩م). فنون الحوار و الإقناع. دار ابن حزم.
٣٣. عبد الباقي. محمد فؤاد (١٩٨١م). المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. بيروت: دار الفكر.
٣٤. عمر، أحمد (١٩٩٥م). منهج التربية في القرآن والسنة. دمشق: دار المعرفة.
٣٥. فهد، توفيق (د. ت). الإمام جعفر الصادق عليه السلام والتراث العلمي العربي. مجلة العرفان. العددان ٥و ٦. المجلد ٧٨. صص ٧٤- ٨٥.
٣٦. نجاتي، محمد عثمان. (١٩٨٠م). منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس. مجلة جامعة الإمام محمد الإسلامية. العدد ٣.
٣٧. يوسف، محمد السيد ٢٠٠٢م. منهج القرآن في إصلاح المجتمع. القاهرة: دار السلام.